مرايا المتوسط

شعر :
يوسف حسن نوفل

يا قبطان البحر ، ويا قرصان البحر ، ويا أسماك القرشْ
ما ذا يخفى شاطئ هذا المتوسطْ ؟
ماذا تحكى مدن غرقى فيه ؟
ماذا تحكى سفن ، حقب غرقى فيه ؟
ماذا يروى قائد أسطول مغرق ؟
ما ذا تعنى خارطتهْ ؟
ما ذا تعنى بارقة فى خاطره ، فى ذاكرتهْ ؟
ما ذا تعنى خططهْ
بين دفاتره وخزانة أوراقهْ ؟
من أين أتى ؟ وإلى أينْ ؟
ولماذا جاءْ ؟
وبماذا جاءْ ؟
يتلوّن تاريخ المتوسط من..: أنطونيو ... ففريزْ
حتى إيدنْ .. ..
أو.. .. بوشْ



أو من يأتى .. ..

تقذف أمواج المتوسط أجسادا صفراء وحمراء وزرقاءْ

فى أنياب ومخالب وأظافر ومتاريسْ

وتلوك ـ بألسنة متنوعة ـ كلمات عبريهْ

ورطاناتْ

تسرق .. تسرق ـ زاعمة كاذبة ـ رقصات الدبْكة ، والأسـطورة ، والتاريخ ، وحجارة أهرام الجيزه !!!!!!

والأجدادْ !!!

والأحفادْ !!!!!!

قلْ لى يا أنطونيو .. .. أين مباهج كليوباترهْ ؟

أين خواتيم التاريخ ؟ وسْط رحيق القبل المسمومهْ ؟

وسْط فحيح الأفعى ، وهزيم الآمال ، وضجيج الحلبهْ ؟

* * * * * *

يا جيران البحر ويا سكّان شمالىّ الضفّهْ

فى مرمى أبصار جنوبيى المتوسطْ



ماذا كان بوجدان الأجداد ، وتخطيط الآباء ، وتذكرة الأحفاد من

: خطط وطموح وجموح وصروح وجروحْ ؟

ما ذا كان بدقّة قاربهم ، وشراع مراكبهم ؟

ما ذا كانْ .. .. ؟

بمراجل أسطول الغازينْ

وقذائف مدفعهم ولهيب قذائفهم ؟

ما ذا يسكن فى خاطركم عنا الآنْ ؟

بعد مرور الألفين .. .. عقدا عقدا سنة سنة حدثا حدثا شبرا شبرا

معركة معركة مؤتمرا مؤتمرا .. ..

عدًا عدًا !!!!

ما ذا ..؟ ما ذا .. ؟

ما ذا .. تنوونْ ؟

ما ذا .. تبغونْ ؟

أيعيد التاريخ مسيرته فى سيرته ، ونكون وقودا ، ونكون حشودا

، ونكون جنودا ؟ ونكون طعاما وغذاء



ولباسا وكساء ؟

ويكون الساكن عند شمالىّ المتوسط .. .. : آكلنا شاربنا ، شارينا بائعنا ، آخذنا معطينا ، قاتلنا

ذابحنا سالخنا ، والمتحكم فى إنجاب بنينا !!

فى لمّة نادينا ، قّيما نأكل ، فيما نشرب ، فيما نزرع فيما نحصد فيما نجنى فيما نقلعْ ؟ !

والمتحكم فى رفّات طيور المتوسطْ !

فى هبّات رياح المتوسط ! فى طقس المتوسطْ !

فى عدد الأمواج وأعداد الأفواجْ !

فى لقمة عيش المتوسطْ !

فى دقات قلوب المتوسطْ !

فى حبات الرمل على شاطئ هذا المتوسطْ !

ما ذا ؟ ما ذا ؟ ما ذا ؟ .. .. ..

يعجز قاموس البشرية عن حلّ اللغز الماثل فى هذا الاستفهامْ ؟ !!!!

يوسف حسن نوفل
٢٠٠١ / ٢٠٠٢

قالت نملةْ
من أقصى المغرب لقبيلتها
فى أقصى « المشرق » :
جند سليمان أتوا ؟ أم تلك جنود الجنّ عتاة وشياطين ؟.
قالت نملةْ :
يا أيتها الريح العابرة شمالا وجنوبا من سبأ أو من سيناءْ
من بابل أو من آشورْ
من مدين أو من أورْ
سخّرت مرارا لنبىّ ، سخّر من قبل شياطين وشياطينْ
وهو الراعى قطعان أبيهْ
يا أيتها الريحْ
عاصفة خاطفة آزفة .. من أى عصور تنطلقين ؟
قالت نملةْ :
يا داوود .. يا داوودْ
صكت أسماعى نايات ومزامير ، ليست كالأسفار ، وليست كالنايات ،
وليست كمزاميرْ



أين مساكن رهطى ؟ أين ملاذى ؟
والأفق الصاخب من أقصى المغرب حتى « أقصى » المشرق بفلسطينْ
حمم وبراكينْ
جنّ وشياطين
وجيوش الموج الزاحف فوق الماءْ
زحف أساطيل الأعداءْ
تهدم بيتى
والقصف ، الرعد ، الشوك يصارع أضواء الفجر الكاذبْ
وخيام القافلة تهاوت إربا
نفرتْ إبل القوم وسقط الهودج وتعرّتْ سيدة الدارْ
حصر الوادى أنفاس المخنوقينْ
والطاووس يدكّ يدكّ يدكّ
والليل الحالك جيش من سجيلْ
قالت نملهْ
لقبيلتها:
يا رهطى .. نادوا « بلقيس » أو اختبئوا عند « نجاشىّ » الحبشهْ !!



واجتنبوا « كسرى »
غوصوا ـ ما اسْطعتم ـ فى جبّ الأرض ، « كيوسف » ، من بطش الطاغينْ
غوصوا ـ ما اسْطعتم ـ فى جوف البحر « كذى النون »
يا « ذا النونْ »
من لى ـ فى النور ـ بظلمات مثل الظلماتْ
يا « ذا النونْ »
أو يتبخّر كل منكم فى الجوّ رذاذا ، أو يتحول طيرا مفزوعا مذبوحا هيض جناحا
كونوا أثرا ، كونوا نقشا ، كونوا حجرا ، نصبا
كونوا تاريخا ، أرقاما وعناوين .. أشلاء وقرابينْ
لتضاف قبيلتكم لقبائل : مدين أو عاد وثمودْ
طسم وجديسْ
وقبائل كل المنسحبين
الغرقى فى سيل العرم
وقبائل كل المنهزمينْ المسحوقينْ
فى قاموس المنسيينْ
« بمروج الذهب » أو « الكاملْ »



عند« بلوغ الأرب »
أو فى« معجم ما استعجم » ، و« الطبقاتْ »
و« الروض الأنف» أو « المزهرْ »
فالصفحات الصفر تنوء
بالأعلام ، وبالأقلامْ
هذا بحر لا نعلم شاطئه
لا نسبح فى أمواجهْ
لا تجرؤ أقدام العذراء
أنْ تلجهْ
خشية أنْ يبتلع الحوت عذارى الوطن
فالطوفان عتىّ فى نادينا ، سيْل العرم عتىّ فى وادينا
والصعقة داهمة داهمة
والصيحة آتية آتية
والآفاق فراعين و فراعينْ

يوسف حسن نوفل
٢٠٠١

يا أيها العرب الصناديد الألى .. .. قالوا لنا : نحن الألى.. ..
باعوا العبيد ، شروا العبيدْ
جلبوا التراث ونضّدوه وجدّدوه وجمّدوه وعلّبوه وبخّروه ؛ فحنّطوا أحلامنا
زرعوا النعاس ،وأتخموا صمتا يباغت همسنا
قد شمّعوا آذاننا ، صاروا جبالا من كلام ، أو تلالا من رخامْ
ذهبت بلاغتهم صدى
وبيانهم ضاع سدى
لم يبق من قطر الندى إلا حماما وردى !!
يا أيها العرب الألى ..

* * * * * *

يا فارسا شرّدْت ما شرّدْت ، ثم شربت من ريح السمومْ
يا ما حلمت ، وما تزال ، وما تزالْ
ما زلت تحلم بالفتوح وبالصروح وبالغنائم والولائم ، والنضالْ
تنسى صراخ ذوي القروح ، وبالتكسّر للنصال على النصالْ
ويقول شعرك دائما :
« يا أيها العرب الألى .. .. !!»

* * * * * *

حتى سمعت .. .. سمعت « هامة » حيّنا :



يا فارسا.. ..
يا أيها الرجل المعنّى
قمْ صدّ ريح الشك عنا
وأجبْ سؤال الحائرينْ
أنّى يكون لقاك ؟ أنّى ؟ !! ''

* * * * * *

يا فارسا
صحراء قلبك ضلّلتك وخادعتك مع الإياب ؛ فبعد أنْ كانت دليلك ضاع من عينيك مصباح الدليل ، وبعد أنْ كانت رفيقك ضاع إقبال الرفيقْ
وأتاك رهط التيه يستبقون ، يفترسون ، يفترشون قارعة الطريق ، يزاحمونك فى المضيقْ
جاءوا فيالق فى السماء وفى الجواء وفى الهواء وفى الخلاء وفى الفضاء وفى المياه وفى الطعام وفى الوضوء وفى الصلاة وفى السراب وفى الشراب وفى الذهاب وفى الإيابْ
وبكل نافذة وبابْ
وصداك عن كثب يصيحْ :
ـ يا ذئب يوسف صرت فى عصرى ملايين الذئابْ
متفائما متشائلا !!

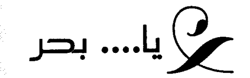


سيّان كنت : تفاؤلا
سيّان كنت تشاؤما
سيّان فى لغة الكلام وفى المعاجم والإذاعة والملامْ
سيّان كل « شواهد » النحوى واللغوى ،كل فصاحة « البلغاء» ،كل
« بلاغة » الخطباء والتجار
والمتكلمين فى سوق الكلامْ
وتقول دوما شاعرا :
« يا أيها العرب الألى ..»

* * * * * *

وعلى شواطئ مسكنى
إستيقظ النوم على نوْح السفينْ
وتفتقت أجفاننا ، وعويل باخرة على شفة القناهْ :
ـ بوّابة الشرق التى .. .. ـ تبكى كما تبكى الفتاهْ
تبكى كما تبكى الفتاهْ

يوسف حسن نوفل
٢٠٠٢



يا.... بحر

أيها البحر الذى عاش رقيبا
يسمع الإيقاع زهوا من زهير وامرئ القيس وطرفهْ
يسمع الإيقاع حكمهْ
ووصايا وخطب
وكلاما من حطبْ

* * * * * *

أيها البحر الذى صار أديبا وخطيبا ينشد الحب جهارا ونهارا
وكبارا وصغارا
بين نجد وتهامهْ
والمهلهلْ
وابن زيدون ، ورامى ، ونزارْ
كلما شطّ المزارْ
أين هذا الزهو والحكمة والخطبة والحب وأين الظاعناتْ ؟
فى متاهات الشتاتْ
إيه بحر الظلمات !!!

* * * * * *

أنْبأ الإعلام إنْباء بعصر العولمهْ
فاحتفلنا برياح العولمهْ



فى سنى القرن اللعوبْ
ضمّنا الإعلام ضمّا
جاء من سمّ الخياطْ
فابتهجنا بمحطات الغوانى، واللواتى .. ..
والفضاءات الأنيقهْ
والإذاعات اللعوبْ
فى البوادى والبيادرْ
والنوادى والحواضرْ
وتلهفنا تلهفنا كثيرا
لهفة الرضّع فى عشق النهودْ
وإذا الغمّة تنشقّ عن الصوت الحزين ، كنت فى سكْرة موت ، صحت :
- تبّا
لحداء النوق بالدمن التى ترميك فى جوف البوادى
لترى الموت غلابا
أيها البحر الذى صار أجاجا
أيها الحلم الذى صار سرابا

يوسف حسن نوفل
٢٠٠٢

جادل نسْر فرخ غرابْ
قال النسر :
إن ملوك الأرض وفرسان الدنيا يقتاتونْ
من صيدى من كدّى من فضلة زادى
أمّا أنت ففى حوصلتكْ
يا ذا الأسود
ألوان من جيف وحثالات ونفاياتْ
وسْط جياع الطيرْ
قال النسر:
قلبى ميدان سباق للخيراتْ
إنى دوْما أتربّع فى كف الملك وكفّ الفارسْ
فوق أكفّ المهرةْ
ومكانى فى كنف الدار وقلب القصرْ
أدْحر جيش اليأس وجيش الفقرْ
إنى كخزانة أسرار حافلة بالأسرار
أما أنت
يا ذا الأسودْ
فمقر إقامتك الدائم في مقبرة القرية وخرائبها



صمت النسر
جفّف عرقهْ
ودمهْ
ثم أضافْ :
وا أسفاهْ
ها أنذا
أقبع منزوع الريش مهيضا
مقطوع المخلب عريانا
مغلول اليدْ
أقضى نحْبي
فى أقصى جنبات المتوسط
بعد حياة حافلة
بالتحليق وبالتحديق
فى قطرات المزْن وشجر اللوز وأفنان الزيتونْ
أما أنتْ
يا ذا الأسودْ
أما الرومْ .. ..
« فبأدنى الأرض » عناكب وعقارب وثعالب ومخالب



وقنابل وجحافل
وسدودا وحشودا ومتاريسْ
سقطتْ وسْط قناديل المحراب
نقطة زيت زيتونيهْ
ومقاطع عنترة العبسى
بكماء وليست عربيهْ
قال النسر:
يا « المتوسطْ » .. .. !!
كم قرن وخزائنك بفيض النيلْ
ملأى
عسلا منّا سلوى خصبا طميا بركهْ
ملأى بحرير الهند حرير الصينْ
وتوابل أفريقيّا
ذهب أبيضْ
ذهب أسود
أما نحن ففى قاربنا تاج الثلج وآثار من عهن منفوشْ
ماتت أشجار اللوز وأشجار الزيتونْ
أما أنت ففى أوراقك من تاريخى من أيامى من مأساتى من أقدارى



أما المطر الصاعد منك ، والعائد فيكْ
فهو رحيق النيلْ
إنى أعلم أن نبى الله « داوودْ» .. ..
رزق جرادا - من لدن المولى - ذهبيا يتطاير يقطع - إعجازا من عند
الله - قبّة هذا الفلك الدوّارْ
دعْم من عند الله لعبدهْ
أيّده الله بنعم وبجنْد من عنده
أما أنت .. .. يا ذا الأسودْ
فاسمعْ من أمثال القوم :
« من يتكبرْ يوما صار ذليلا بعد الغدْ »

يوسف حسن نوفل
٢٠٠٣

إلى أين .. ؟

إلى أين ؟

واحتبس الصوت كلّله الصمت هدّده الموتْ

إلى أين ؟

واختبأت فى الحلوق الشكوك الصكوك العهود المواثيق ضاق المضيق فيا أهل « خيبر » أين الطريق ؟

إلى أين ؟

واختبأت فى السطور البنود وغامت ردودْ

وقامت حشود وضاعت سدودْ

وضاعت رسائل عمرو ، وعين الخليفة صوْب الحدودْ

إلى أين ؟

وانتبه اللاهثون لعزف غرير ،وقصف مرير

لهمّ وفير ، بكهف و« ديرْ»

لعصْف وقصْف وحتفْ

إلى أين؟ واحتبست همهماتْ

إلى أين ؟ واحتبست غمغماتْ



إلى أين ؟

يا صاحبى ضلّ صوتى فما من مجيبْ

وصوتى بحّ فما من مجيبْ

فأين صدى صاحبى ؟ أين ذاك الرفيق الشقيقْ ؟

« تحاول ملْكا » !!

وأين تراث عريق غريق لماض غريقْ ؟

« تموت فتعذرْ » !!

يوسف حسن نوفل

٢٠٠١

« من وحي زيارة الشاعر لمكان لبيع احتياجات للكلاب في عاصمة الإمبراطورية !! »

(١)

كلبي في جاماريكا ..
عضو من أعضاء الأسرةْ
وله حقّ في التّدليل وحقّ في التّقبيلْ
وغذاء محفوظ محفوف بالتبجيلْ
وله حقّ الإنسان .. وما فوق الإنسان
ولكنْ
ليس له حقّ في التصويتْ
وله صوت فوق التصويتْ !
وله الدفْء
دفء .. في الأحضان .. ودفء .. في التكييفْ
وله الصحْبةْ
وله البهْجةْ
وله في « السوبر ماركتْ » .. ركن ملحوظْ



فله « الشامبو » ، وله السلوى ،وله .. وله .. وله ..
كلبى .. كلب محظوظ ، وله حق محفوظْ
يخرج فى نزهته اليوميهْ
نصْحبه ، يصْحبنا
يتوقف .. نقف ، يسير .. نسيرْ
وله حقّ فى التقدير وفى التدبيرْ
وله فى المستشفى .. وصفات ، وأقانينْ ..
وعقاقيرْ
لا يسعل ، لا يمرض ، فهو قديرْ
كلبى .. كلب محظوظ يحيا فى أم الدنيا .. جاماريكا
فكّر كلبى فوق أريكهْ :
أنْ يرسل « بالفاكس » ، أو « الإنترنيت »
يستفسر عن كلب آخر بين كلاب البوسنة أو بغدادْ
أو كلب آخر بفلسطين !!

(٢)

كان كلاب « البوسنة » يمضون عرايا دون فراءْ



مثل كلاب الضّفّة ، أو رام اللهْ
مذعورين .. والجوّ خواءْ
لا أسرة تمنحهم دفء التدليل أو التقبيل أو التبجيلْ
لا يتطلع كلب منهم قطّ .. إلى أعلا
ما فكّرقطّ ..
فى حقّ كحقوق الإنسان وما دون الإنسانْ
ما سأل الدفء أو الصحْبهْ
ما سأل البهْجة والسلوان
وتساءل كلبى ، وتساءل ..
وجّه أسئلة لكلاب فى .. رفح .. عند المتوسط حتى دجلهْ
وجّه أسئلة للكلب البوسنىّ المقرور المذعور ،.. بكلّ غرورْ :
ـ هل عندك « سوبرْ ماركتْ »
ـ للجوف وللأمعاءْ
ـ للفرْو وللأنْـواء ؟
ـ هل عندك « شامبو » ؟!
فغر الكلب البوسنى الفاهْ



وتأوه : آهْ !!

وتساءل كلب بمخيّمْ :

ـ هل ما ينطقه هذا الكلب لغة مخترعهْ

لا تألفها أذناه

أم هى ألغاز وأحاجى ؟

أم لغة بين لغات الأسرار؟

وأجاب .. بلا

ثم تساءل كلبى فى موقعه فى الناطحة :

ـ حدّثْنى عن نزهتك اليوميهْ

فأجاب الكلب الغزّاوىّ :

ـ بمخيّم نار ، وضفاف عذابْ

وأجاب الكلب البوسنىّ :

ـ فى أحراش الغابات وفوق جليد النارْ

وأجاب الكلب البغدادىّ :

ـ فى أطلال الماضى المطمورْ

ـ وحفائر ماضينا المأسورْ



فتساءل كلبى :

ـ عجبا كيف يكون جليد النارْ ؟

هل تعجب يا كلبى ؟ . لا تعجبْ !

فجليد النار .. ضدّان اجتمعا ضدّ كلاب البوسنهْ

وفلسطينْ

ضدّ كلاب النهرين ، النارينْ ، الضدين !!

السجّادة : خيط جليد صلب متماسكْ

وغطائى نار الدبّابة والمدفعْ

وشظايا وبقايا وعرايا

(٣)

فكّر كلبى فى قلعته ، فكّر ، .. فكّرْ..

ثمّ تدبّرْ

أنْ يرسل مثل رسائل هذا الكلب البوسنىّ ، وكلاب بفلسطينْ ....

أخرى لضحايا منْسيينْ !!!

يوسف حسن نوفل



« وحى عبور بين الضفتين »

عبْر المانش مضتْ قافلة تحت الماء

وفضاء المانش يغوص يغوص ، يغنّي أغنية لشعوب الأرض

بحروف من وهج الشمس بأفريقيا

وصدى من همسات السين ومن همسات التيمزْ

غابت همسات النيلْ

تمضي قافلة الرفقاء

بقطار المانش ، تمضي وبجنبات موائدها عشّاق النهرْ

من آسيا ، من أفريقيا ، من أوروبا ، من أمريكا

تمضي قافلة حاملة نبضا من نبضات الأمم المتحدةْ

لتواجه نبضات أخرى لا متحدة !!

ما ذا لو أنّ نيويورك أتتْ لقطار الشرقْ

بكراسي الأمم المتحدةْ

في قافلة تحت الماء بقطارالمانشْ ؟

هل نسمع تحت الماءْ



فيتو الأرضْ ؟!
أمْ أنّ الماء يطهّر رجس الأرضْ ؟
هل نمضي بقطار المانش
تحت الماء .. تحت مياه البحر الميّتْ ؟
تحت مياه البحر الأبيضْ ؟
لنرى من سافر عبْر قطار الدمّ
في نفق داخل أغوار الإنسان ؟
في نفق يتحدى النسيانْ
في نفق غرّر بضمائر ومشاعر ومصائرْ
لطّخ جدران الكهف وجدران المعبد والصومعة
لطّخ جدران الدّيرْ
شوّه شرفات التاريخ ، وشوّه سحنة أفروديتْ
هذا نفق من أنفاق الأرض ، غير النفق القابع تحت حنايا المانشْ
هل نمضى فيه ؟ لنقابل أشلاء الشهداء؟
هل نمضى بقطار المانش تحت مياه « الدفرسوار » ؟



لنرى فأس الفلاح ، وإبهاما لصعيدىّ من أسوان ، وجمجمة
لقناويّ، أو لرفاق :
زفتاوىّ، أسيوطىّ ، منياوىّ، رسموا خارطة عصريهْ
للقلزمْ
للإسماعيليهْ؟
ومدائن ذات موانيء أسطوريهْ
تستلهم تاريخ الشهداءْ
كان قطار المانش يؤاخى بين السّين وثرى التايمزْ
يضفر من ريف البلدين حبال الودّ ، قصائد غزل باللغتين ،
تستوحى « رامبو» ، « هوجو » ، « ميلتون » ، « لافونتين» ، « لامارتين»
وأخى بالشرق يعانى الصدّ الهجر الذلّ اليتْم الثّكلْ
لا يستوحى « عنترة » و« المتنبى » و« الحمدانى » . بل يستوحى
أحقر صعلوك من شعراء العصرْ.

يوسف حسن نوفل



ضريبة

ضريبة ضريبهْ
تدفعها العروبهْ
في كل عقد من سنينْ
ضريبة الدماءْ
ضريبة الثرى والعرض والهواءْ
ضريبة الأحرار والإماءْ
ويصرخ السؤال فى المحالْ
والشاعر الجوّال قالْ :
قصائدى قذائفْ
قصائدى تجازفْ

يوسف حسن نوفل
ديسمبر ١٩٩٢

تتضخّم ذاكرتى حبْلى بالماضى فى مملكة حافلة بالعشب ،
وبالطير ، وبالريح ، وبالطين ، وبالماء ، وبالنّخل ،
وبالبيتْ
من قبل ضياع البيتْ
كان الماء زلالا صار أجاجا
كان العشب بساطا صار سياطا
كان فضائى بكرا صار مشاعا
وقف النخل حزينا
واغتُصب مساء بالطائرة وبالقاذفة وبالدبابة والغوّاصهْ
طأطأ .. أومأ
ثم تمايل يحرس تاريخ الأزمانْ
هذا دمعى المرّ جفانى
وسْط سموم فى النظراتْ
هذا أملى أمل واه
هذا شعبى شعب لاهٍ
إختلطتْ ألوان الموكبُ بين مواكب مختلطاتْ :
هذا موكب فرْح ذاهبْ
هذا مأتم حزن دائبْ



هذا الموكب للشهداءْ
هذا موكب مأجورينْ
هذا موكب مأفونينْ
إختلطت ألوان الموكب .. فى ألوان المولْد .. فى ألوان العيد ..
فى ألوان المسرح .. فى ألوان « الديسكو »!!
والأقنعة المتوهّجة المتلوّنة تدفعنى
أرنو داخل ..داخل ذاتى
لطفولة لاجىءْ
لطفولة يتْم ، ثكْل ، فقْد ، طفل يترنح وسْط النارْ
وسّط أماكن يتعشّقها يتشممها يتحسس وضْع الخنجرْ

* * * * * *

صدئ الخنجر ، هذا الخنجر إبن عُمانْ
ثلم السيف ، سيفك « خالدْ» !!
والآنْ .. ..
صهرتْه النار وصهرتْنى

يوسف حسن نوفل

(مهداة إلى صديق)

(١) « رمليّة » :

(أصحوْت اليوم أمْ شاقتْك هرّ ... ومن الحبّ جنون مسْتعرْ)
يا أخا العمر أرى أفْقك يبدو مكفهرّ
يا أخا العمر أما من مزدجرْ
يا أخا العمر أما آن الأوان أنْ تقرّ ؟!!
أنْ يعود القارب النافر عن هدأته ، لا يفرْ
(لا يكن حبّك داء قاتلا ... ليس هذا منك (ياقيس) بحرّ)
رفرف القلب بجنبك لا يرتدع
جمح القلب بصدرك لا ينصدع
نفْثة الأفعى بجفنك لا تنقشع
هذه اللدغة لا نجهلها ، هذه اللدغة قد أعرفها
هذه آثار عدوان وأنياب خيانهْ
قد بلوْنا الدهر فى خلسته فعرفناه افتراء وإدانهْ
وعرفناه خيانهْ ..
فى .. خيانهْ
فى .. خيانهْ



يا أخا العمر أتانا يومنا
آن أنْ يرحل عنّا حلْمنا
آن أنْ يصفح عنّا وعْينا
آن أنْ يَعْفو عنا غيّنا
نحن فى مختصر العمْر وأعقاب الزمانْ
نرقب الماضى نقوشا فى المكانْ
حكمة الأيامِ فى كل أوانْ
إذْ نرى ما زرعِ الأمس يبابا فى يبابْ
وسطورا فى كتابْ

* * * * * *

الرياحين التى كانت إلى آفاقنا تنجذب
أين ذيّاك الرنينْ ؟!
دارت الأفلاك حينا بعد حينْ
والزمان والممالكْ
والملوك والفيالقْ
والفراشات ، وأزهار الحدائقْ
والمرايا .. والزوايا .. والحنايا



والمجالي والليالى
تتهادى وتراوغْ
نتملاها ، وتمضى ، وتخادعْ
ونراجعْ
ونتابعْ
ونجافى .. ونبايعْ

* * * * * *

حسْبنا هذا الرصيدْ
فى بنوك الأمس لا بأس إذا ضاع الرصيدْ
حسْبنا أنّا ملكْناه زمانا ، وهصرناه ، عصرناه ، زرعناه ،
جنيناه ، رعيْناه، قتلناه، أمتْناه ، بعثْناه ، شريناه ،
وبعناهْ
حسْبنا أنا شريناه وبعناهْ
حسبنا أنا أمتناه بعثْناهْ
حسبنا أنا نجونا ما قُتلْنا
حسبنا أنا .. .. على .. .. قيد الحياهْ!!!
سنّة الكون تدومْ



أسد الغابة ملْك
ما نأتْ عنه الحتومْ
والحسومْ
ملك الأمس تراه من صعاليك النجومْ

(٢) « كامليّة » :

الأفعوانْ
ستظلّ ترقص كلّ آنْ
لكنها ، فى غيّها ،
ستظل تعشق كل إنسىّ وجانْ
يا أيها الفرس النبيلْ
آن الأوانْ
يا أيها الفرس النبيلْ
أمطْ لثامك واعْد من غير لجامْ
حطّم قيود الأسْر فى جنبيك .. .. فى عينيك .. .. فى وادي الهيامْ
فى التلّ .. فى الفلوات .. والخلوات .. والأجمات .. فى جنْس اللئامْ
خببا وعدْوا لا تلينْ



واصهلْ كما تهوى ودكّ بحافريْكْ
رقّا وقيدا ، مثل جدّك « عنتره »
حمحمْ كصاحب « عنترهْ »
« فى عبرة تترقرق »
هو فارس قهر العتاة السادرينْ
فاكشف قناع الزائفينْ
واقهرْ بسيفك .. أو .. برمْحك .. أو .. بنبْلك عاتيات .. سادراتْ
يمنحن سمّ القبلاتْ
بين الأمانى الواهيات . الواهنات ، وزرْ ضريح الراحلاتْ
واغمدْ بصدر ضريحهنّ الخنجر المسموم والسيف الصقيلْ
وأعدْ « لبايرون » الصدى .. وابدأْ طريقْ
لا تنظر الماضى الدفينْ
أسفا بقلب مستكينْ
أسفا بقلب مستكينْ

يوسف حسن نوفل

نام الطفل
إذْ جفّ الضّرعْ
أغمض عينيه ونامْ
صار المهد ظلامْ
والقمر الغائب نامْ
صار المهد غمامْ
جفّ الضرع ، وجفّتْ أغنية الأمّ وثرثرة الحكّامْ
جفّ الحلم على الشرفاتْ
غاب القمر عن الفجواتْ
سكن الفرس ، وصمت الفارس ، واستشرى صوت الأغواتْ
ملأوا الساحة والطرقاتْ
صار السرْج وسادة عشق فى الحاناتْ
صار الحافر تاج إدارهْ
وإماراتْ
صار الوطن بقايا سلع الإعلاناتْ
صار الحقد عقيدهْ
صار القلم حطاما
صار الحرف لجاما



.. تصغى الأنجم لحديث الأنجم..
.. يصغى الموج لحديث الموجْ
.. يصغى النجم بعيدا يتأمل ما يحمله البشر من الحقد الأعمى
يتعجب هذا النجم .. يعضّ على شفتيه .. أنامله ، تتقطّب جبهته
.. يتفصّد عرقا
إذْ عاصر منذ قرون .. و.. قرونْ
أقواما
كان لسان الصدق لزاما
كان الحق إماما
.. يصغى النجم لوقْع الأقدام الخائفة، الأقلام الخادعة ،
الأفواه الجائعة ، الأفئدة الخائنة الآنْ
بزمان تعلوه الأقزامْ

يوسف حسن نوفل

جمانـــة قطعـة الســكرْ ∴ جمانـــة ومضـــة الجوهـــرْ
عقيـق الأرض خطوتـــها ⚜ وبـــرْق النـــور والمرمـــرْ
محـار البحـــر عينـاهـــا ∴ تطوف شـواطئ الأنهـــرْ
سـواء مــن ثـــوى فيــها ⚜ ومـــن قـــدّم أو أخـــرّ
إذا ابتســـمت تخيلْنـــا ∴ كأن الصــبح قـد أسـفرْ

وعصفورا على شباك نافذتى وقد نقّرْ

وبســـتانا مـن الأضـــواء ⚜ بالأصـــــفر والأشـــــقرْ
وشـــلالا مــن الألـــوان ∴ بالأحمـــــر والأزهـــــر

حكى ما شاء من سحر فصْور مثلما عبّرْ

وجيشـــا مـن مفاتنـــها ⚜ غـــزا فاحتـــلّ أو عسـكرْ
ونـــاورنا ، فحيـــرّنا ∴ وأقبـل ثـــم أم أدبـــرْ
فســبحان الذى قـــدّر ⚜ من نـــوّر ، مـــن صـــوّرْ

جمانة قطعة السكرْ من الفضة أو أنضرْ

أوّل الفرسان جاءْ
جاء مزهوًا ورفراف اللواءْ
صفّق الطير فغنّى الشطّ واخضرّ الفضاءْ
وتساءلْنا:
أفاض النيل ، أمْ قام الفراعنة العظامْ ؟
وتساءلنا :
أرمسيس أتى ؟
جيشه الفاتح جاءْ؟
« أحْمس » حلّ بطيبهْ ؟
جاء رفراف اللواءْ
أمْ هو النيل أفاءْ ؟
شاعت الأخبار فينا
والمنادى إذْ ينادي :
بشّروا « يعقوب » واستبقوا إليهْ
وامنحوه ناظريهْ
بشّروه .. بشّروه :
يوسف بالحب جاءْ
يوسف بالحب جاءْ

يوسف حسن نوفل
٢٠٠٣

لجينْ تلألأتْ حوْلى ∴ كما تتلألأ الأنوارْ
ترشّ الضوء فى بيْتى ⚜ تعلّقه على الأسوار
تراود نفسها حينا ∴ فتنتظر لمّة الزوّار
على حذر بعينيْها ⚜ كما تخشى على الأسرار
إذا ما استيقظتْ كانتْ ∴ عيونا كلّها أمطار
عيونا فضّة أمّا ⚜ لجين فلوحة بإطار

يارحيق الورد ياحلو الجنى

عطرك الفوّاح يمشى بيننا

ينشر البهجة فيما حولنا

والإذاعات تغنت ألْسنا

والفضائيات صارت وطنا

والفراشات وفودا وجنى

صارت الدنيا بهاء وهنا

عرشك الوارف أضحى سوسنا

قبّل الكون فأحيى «حسنا»

إيه يابحر ! وتلك الفلذاتْ ..

قادمات وجلاتْ

من ضلوع الأمهاتْ

ولد القرن على مولدهمْ

وقرون قد تلاشت فى الشتاتْ

كم مرايا تنتقى أنظارهم

ومرايا تتوالى فى الحياةْ

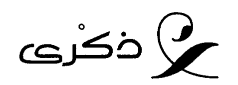
فإذا ما غُيِّبوا فى جيش ليل كان من نورك إجلاء الغزاةْ

وإذا ما فاتهم تاريخهم كان من صوتك إحياء الرفاتْ

إيه بحر الذكرياتْ !!

والسطور الباقياتْ

يوسف حسن نوفل



غيمة مرّتْ حزينهْ
فوق شطّك « بورْسعيدْ »
رفرف الطير حزينا
فوق بحرك «بورْسعيدْ »
سال ملح البحر فيه
شرب الرمل مزيجا من دماء وعرقْ
رقد الشيخ ونام الشهداءْ
في رقاد الأبد
كان يا ما كان شابا وشبابا
كان يا ما كان كهلا
كان يا ما كان شيخا
وهمو الآن عروق باردهْ
ودماء جامدهْ
بعد أنْ جاهد يوما
حين ردّ الموج ردّا
قبّعات .. أو .. رماحا ، أو .. جراحا
.. لتتار زاحفينْ

يوسف حسن نوفل
ديسمبر ١٩٩٠

فى ركن من أركان الأرضْ
ظنّ الفردْ
أنّ خطاه فوق الحدّ
فرأى الغدّ
بوق جدال .. سوق كلامْ
قطْعانا كبرى بشريّهْ
ورأى الفردْ
ترسا بين تروس الكونْ
زرّا من أزرار الآلة .. يضغط يعملْ
يضغط يغفو .. يضغط يصحو .. يضغط يصنع ثورهْ
ويؤمّم ، ينزع ، يمنح ، يرضى ، يسْخط ، يرفع ، يخفض ، يسمع .. ويحبّ
يدرك أنّ الله سميع أن الله بصير .. أن الله غفورْ
لكنّ الأوهام المتألّهة بداخله تدعوه :
أنّ إلاه الأرضْ
أعلى سمْتا من ملكوت الربّ .. فوق سماوات الأكوانْ
.. ذات مساء



أعلن مذياع الأنباءْ..
.. .. والعاصفة تجوب الأرض .. .. تزلزل أركان البنيانْ
.. .. هدم المعبد فوق رءوس البنّائينْ
هدم بأيدى البنّائينْ
صار المعبد شبْه هراءْ

✵ ✵ ✵ ✵ ✵ ✵

كان المعبد منبع تصدير المعتقداتْ
تتلقّفها أفواه .. تمضغها .. تعْلكها .. تبصقها . فى الأفواهْ
أفواه تبصق فى أفواهْ
ألْسنة تتلوّى .. تتعانق . .. تتسابق . .. تتعارك .. تتلاقف ..
تتلاقح .. بالكلمات .. تصير حروفا كاللكماتْ
وحروف بيانات .. منشورات .. تعليمات .. تحذيرات .. مشروعات ..
محفوظات .. محفوظاتْ

✵ ✵ ✵ ✵ ✵ ✵

كهل كهول فى فلوات من أحكام وشعاراتْ
مات شيوخ عن أحكام وشعاراتْ



شبّ شباب في أوهام للكلماتْ
يشرب كلمات جوفاءْ
يأكل كلمات جوفاءْ
يرسم أشكالا ، ويهوّم فى عدم الأشياءْ

* * * * * *

.. .. حين أفاقوا .. والمذياع صداه يحْطم تمثال الكلماتْ
أدرك تجّار الكلمات سماسرة الأفكار .. عباقرة الأشعارْ
أنّ الإنسان بلا إيمانْ
كهف فى درب النسيانْ
قصْر منزوع الجدرانْ
حقل محترق الألوانْ !!!

يوسف حسن نوفل

الأربعونْ
تمضي وتتبعها السنونْ
والراحلونْ
يتنفسون كأنهم لا يرحلونْ
كأنهم ما ضرّجوا ، وكأنْ دماؤهمو روتْ
بستان خلْد شاهق

* * * * * *

الأربعون تمثّلتْ
الأربعون تكلّمتْ
بلسان شعب لا يهونْ
الأربعون ترقرقتْ
ماء على قبر الشهيدْ
دما على شفة القناهْ
وعيون « مهران » تراهْ
فقئتْ .. نعمْ



لكنها ..
عينان بات الأربعون ضياءها
باتتْ رؤاهْ
لتؤمّها كل الجباهْ
وترى بها نبض الحياهْ
فى وجه أعداء الحياهْ

* * * * * *

الأربعونْ
تمضي وتتبعها السنونْ
وفتى يواجه آسريهْ
وفتى يخادع ذابحيهْ
وفتى يقاضى سارقيهْ
وخطاه مارقة تناور تستميتْ
حتى غدا فى قبضها الصيد الجديدْ
غاز عنيدْ



وبأفقها النصر الوليدْ

* * * * * *

الأربعونْ
تمضى وتتبعها السنونْ
في موكب المتطهّرينْ
وتغوص في أعماقه
ولْهى على فلذاتها
وتقبّل الشهداء فى اليمّ القصىّ
جذلى بنصر عبقرىّ
عاشتْه يوما برْ سعيدْ

يوسف حسن نوفل
ديسمبر ١٩٩٦

يا للإنسان غدا يتلو

إنجيل صفاء ومحبهْ

توراة إخاء ومودّهْ

قرآن سلام وإخاء ، وعصى موسى ، تحت القبّة ، تفجأ صمتهْ

وبهيئة أمم متّحدهْ

ثعبان من تحت القبّـهْ

يا للإنسان قضى نحبهْ

* * * * * *

وإذا ما صاح بلا حوْل ..و..بلا صوت

وجد الأقدار تلاحقه ، يلقى ربهْ

يلقى حتْفهْ

فى هيئة أمم متحدهْ

إذْ يقتل من دون الدّيهْ

وعصا موسى تصرع حلْمهْ

ثعبانا من تحت القبّهْ

يوسف حسن نوفل

٢٠٠٢

« من وحى زيارة شلالات نياجرا سنة ١٩٩٦ »

يا حبّة الماء النقىّ

تدفقى .. تدفقى

ضمى إليك موجة ، وموجة ، ووديا ، وواحة

قبائل الفارّين من هول الضياع المغربىْ

إلى الضياع المشرقىْ

قبائل الحمْر التى .. ..

تدفقى .. تدفقى

وعند مهواك الْتقِى..

وراقبي رحيل هندى شقىّ

قبيلة لا تتقي .. قبيلة لا ترتقى

قولي لها : « تقدمى ..تقدمى ..ثم اغرقى.. ثم اغرقى ..»

يا حبة الماء النقىّ

* * * * * *

يا ذرة الماء النقى

فلتبعثى



ومن جديد .. تكتبين قصة .. ..

« رذاذ هندى شقى »

فصوّتى ، وجلجلى ، ودمدمى ، ونقنقى ..

وجرّبى البارود فى هذا الشقى

فبائل الغازين أعلى اللوحة

حثالة الفارّين تحت اللوحة

تدفقى .. تدفقى..تدفقى

يا اااا .. حبْ ..بة ..الْ.. ما اااا..ء الشّ..ش .. قى ى يىّ !!!!

يوسف حسن نوفل

ـ همس الجالس حذْو المكتبْ

(بغرور الواثق أوْ فى ثقة المغرورينْ)

ـ أصغى الواقف قرْب المكتبْ

(كان الموقف بين اثنين لا يعرف أحدهما الآخرْ)

ـ قال الهامس ـ (وهو الجالس حذْو المكتبْ) :

ـ إنْ لمْ تقطعْه قطعكْ

ـ إنْ لمْ تقتلْه قتلكْ

ـ هو كالسيفْ

ـ إنْ لمْ تقطعْه قطعكْ ، إنْ لمْ تقتلْه قتلكْ

ـ قال المصغى (وهو الواقف قرْب المكتب) :

ـ تقصد من هذا .. .. الوقتْ ؟

ـ قال الهامس :

ـ طبعا طبعا .. أقصد من هذا الوقتْ

ـ ولذا أحرص فى عملى ألاّ أحْيى هذا الوقتْ

ـ هل تنسى ..؟ : إنْ لمْ تقطعْه قطعكْ .. إنْ لم تقتلْه قتلكْ

ـ ولهذا لا أحييه . بل أفْنيه ، لا أحْيى وقتا فى عملى ، ما دمت أرى



هذا المكتب ، ما دمت أجالس أوراقى ، ما دمت أمارس أحلامى ، ما دمت أسامر آمالى ، ما دمت ألاقى أصحابى

ـ قال المصْغى :

ـ ما معنى لا تحْييه فى عملكْ ؟

ـ قال الهامس :

ـ إنْ جاء عميل قلت له : لا أسمعْ !

وإذا عرض علىّ الأمر فإنى لا أبصرْ!

وإذا طلب حديثا منى لا أتكلمْ!''

ـ قال المصغى :

ـ أىْ أنك ، .. أو أنّ الأمر : .. لا أسمع ، لا أبصر ، لا أتكلمْ؟

أىْ أنك تحيا فى « اللاءات »؟

ـ قال الهامس فى عليائهْ :

ـ هذا صدق هذا حقْ

ـ قال المصغى :

ـ والناس.. .. الناسْ ؟



ومصائرهم ؟، ومصائبهم؟

ـ قال الهامس :

ـ هذا أمر لا يعنينى

ـ يعنيني .. ألاّ يقلق أحد نوْمى

ـ ألاّ يزعج أحد طيْرى

ـ ألاّ يوقظ أحد حلمى

ـ أقضى ساعاتى .. فى ذاتى .. ولذاتى .. دون شريكْ

ـ لا يعنينى أمر الناسْ .. غضب منهم أو .. إحساسْ

ـ وإذا ضاق الأمر.. وغلّقت الأبوابْ

ـ قلت لعملائى « بالصوت العالِى» ، و« الفمّ الملآن » :

ـ إنى عبْد للروتينْ

ـ إنى عبْد للشيطانْ !!

ـ قال المصغى :

ـ أىْ أنك ، دوْما ، إمّا : سلبىّ أو .. ..

ـ قال الهامس (وهو يقاطعه) :



ـ أحيانا

أحيانا أبدو سلبيا .. أحيانا أبدو ميّالا للتعقيدْ

أمّا أمْر الناس فلا يعنينى منه شئ

ذاك ؛ لأنّى مالك وقتى .. .. أقْتله ، أنفقه ، أحْييه ، أفنيه ، أميتهْ

هذا أمرى وحدى .. .. لا حقّ لأحد فيهْ

أسمعت كلا..ااا .. م..ى ى ى ى ى ؟!!

ـ قال المصغى : حسنا .. إنى .. أسمع .. أبصر .. أتكلمْ

وأنا أعرف أنك فرد غيرى : ..

لا تسمع .. لا .. تبصر .. لا تتكلمْ !!

ولذا ... قرّرْتْ ''

ـ قال الهامس :

ـ سأقاطعك الآنْ ثانية

من أنتْ ..

حتى .. أنك صرت .. تقرّرْ؟

هل أنت صحافىّ ؟.. هل أنت محامى المظلومينْ ؟



.. هل أنت من الحزب الحاكمْ ؟ ..

.. هل أنت من المجلس ؟ أم أنك شرطىّ ؟ .. هل أنت .. ..؟

ـ قال المصغى (وهو يقاطعه) :

ـ سأقاطعك الآنْ

لا .. لمْ أشرفْ فى نيْل صفات مما تذكرْ

وأعيد عليك القول :

لذا قررْتُ..

أُكْمل :

أنْ تُقصَى من هذا الموقعْ

حتّى .. لا

بلْ إنى أوصى توصية من أجلكْ

يدْعمها ما قلت من الأقوال ، وما قدّمْت من الأفعالْ

يوسف حسن نوفل



خاتمة ..

ياأيّها العرب الصناديد الألى ...

.. قالوا لنا : نحن الألى !!

باعوا العبيد ، شروا العبيد ، ونضّدوا بسط الثريدْ

نصبوا التراث ، وعلّبوه ، وجمّدوه ، وبخّروه ، وحنّطوا أحلامنا

جلبوا النعاس ، وأتخموا عيّا وذابوا بيننا

قد شمّعوا آذاننا

صاروا جبالا من كلام ، أو تلالا من حروفْ

ذهبت بلاغتهم صدى

وبيانهم ضاع سدى

لمْ يبق من قطر الندى إلاّ حماما وردى

✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲

يا فارسا .. شرّدْت ما شرّدْت من ريح السمومْ

يا ما حلمت !!

ما زلت تحلم بالفتوح وبالصروح ، وبالغنائم والولائمْ

ما زلت تمضغ في الجبال صدى صراخ ذوى القروح ؟؟



يا فارسا .. صحراء قلبك ضللتك وخادعتك مع الإياب ؛ فبعد
أنْ كانت دليلك .. أين ذيّاك الدليل ؟ .. وبعد أنْ كانت رفيقك
ضاع إصغاء الرفيقْ !!
وأتاك بركان الحريقْ
وأتاك رهْط التّيه يستبقون يفترسونْ
وهمو فيالق فى السماء ، وفى الفضاء ، وفى المياهْ
وبكـ نافذة وبابْ

* * * * * *

.. .. واستيقظ النوم على نوْح السفنْ
وتفتّحتْ أجفاننا بعويل باخرة على شفة القناةْ
بوّابة الشرق التى ...
تبكي كما تبكى الفتاةْ
تبكي كما تبكى الفتاةْ
وصداك عن كثب يصيحْ : ..
... يا ذئب يوسف .. صرت فى عصرى ... ملايين الذئابْ !

يوسف حسن نوفل

الفهرس

الصفحة

الفهرس

الصفحة

